Adıyaman Üniversitesi
İslami İlimler Fakültesi
İslami İlimler Araştırmaları Dergisi
1 (2017/2), 119-138

النُّصوص المُوهمة لتشبيه اللّٰه بخلقه وموقف السّلَف والخَلَف منها

حسن أحمد الخطاف*

ملخص.

أنزل الله تعالى القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم هاديا، وقد كان إنزاله بلغة العرب، لكنَّ هذا القرآن منه ماهو واضح الدّلالة وهو أكثره، وهو المسمَّى بالمحكم، ومنه ماهو غير جليَّ الدلالة وهو أقله وهو المسمّى بالمتشابه، وجزء من هذا المتشابه مُتّصل بالله تعالى، فكيف نفهمه ؟ ومامنهج السَّلف والخَلَف في فهمه؟، وما الخلاف الذي بين السَّلف والخلف في هذا الفهم؟

هذا الأمر ليس قاصرا على القرآن الكريم فبعض أحاديث النبي المتَّصلة بالله تعالى هي كذلك، فكيف نفهمها أيضا؟ وما علاقة ذلك باللغة العربية ؟

سنجد الإجابة عن ذلك بحول الله في هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: السَّلف، الخَلَف، المحكم، المتشابه، التأويل.

ALLAH'IN YARATTIKLARINA BENZEDİĞİ ŞÜPHESİNİ UYANDIRAN NASSLAR VE HALEF İLE SELEFİN BU NASSLARA YAKLAŞIMI

Özet.

Yüce Allah, Kur'ân-ı Kerim'i Arap diliyle hidayet rehberi olarak Elçisi (s.a.s)'e indirdi. Ancak Kur`an'ın büyük bir çoğunluğu anlamını ifade etme açısından açık olup muhkem diye ismlendirilirken diğer bir kısmı ise ifade ettiği anlam açısından açık olmayıp müteşabih diye isimlendirilir.

Bu müteşabihlerin bir kısmı Allah ile alakalıdır. Bu tür nassları nasıl anlamalıyız? Selef ve Halefin bu tür ayetleri anlamadaki yöntemi nedir? Bu tür ayetleri anlama noktasında Selef ile Halef arasındaki ihtilaflar nelerdir?

*أستاذ مشارك بجامعة آرتكلو, ماردين, تخصص علم كلام / khattaf72@gmail.com

Adıyaman Üniversitesi
İslami İlimler Fakültesi
İslami İlimler Araştırmaları Dergisi
1 (2017/2), 119-138

Bu durum sadece Kur`an ile sınırlı değildir. Peygamber S.A.V.`den rivayet edilen bazı hadislerde de durum böyledir. Ayetlerde olduğu gibi bu hadiseleri nasıl anlamalıyız? Bu durumun Arap diliyle ilişkisi nedir?

Allahın yardımıyla bu araştırmada bu sorulara cevap bulmaya çalışacağız.

Anahtar Kelimeler: Selef, Halef, Muhkem, Müteşabih, Tevil.

TEXTS GİFTED TO LİKEN GOD TO HİS CREATİON AND THE POSİTİON OF THE PREDECESSOR AND SUCCESSOR

Abstract.

God Almighty revealed the Koran to His Messenger, peace be upon him hadia, has been removed in the language of the Arabs, but this Quran is clear what is the most significant, which is called the arbitrator, and it is not clear indication, which is least called a similar.

Part of this similar to God Almighty, How to understand it? And the implication of the advances and backwardness in understanding?, and what is the difference between the advances and the backward in this understanding?

This is not limited to the Koran, some of the Prophet's conversations related to God Almighty, so how to understand them too? What does this have to do with Arabic? We will find the answer to this in God's search.

Keywords: advances, backward, arbitrator, similar, interpretation.

المُقدِّمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، فمن المعلوم أنَّ الله تعالى يتّصف بكل صفات الكمال ويُنزَّه عن صفات النقصان، وأنَّ الله تعالى لايشابه خلقه بأيّ وجْهٍ من الوجوه، وهذا أصل عند المسلمين، وهو أصل يستند على قوله تعالى:" {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: 11] وقد ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية من النصوص ما يُوهِم ظاهره تشبيها لله تعالى بخلقه، وذلك كقوله تعالى :" {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} [الطور: 48] وقوله صلى الله عليه وسلم:" «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ».

فكيف تعامل السَّلف الصالح- وهم أبناء القرون الثلاثة الأولى- مع هذه النصوص؟ وهل كانوا على منهجٍ واحدٍ ؟ ومال الفرق بينهم وبين الخَلَف... هذه الأسئلة وغيرها سنجيب عليها من خلال هذه الدِّراسة، وقد دفعني للحديث عن هذا الموضوع دوافع عدّة منها :

1.أنَّ هذه القضية هي من المسائل العَقَدية التي ينبغي بيان مذهب السَّلف على حقيقته فيها.

2.ظهور جيل من الشباب ولاسيما بعد ظهور الثورات العربية منطلقا من خلْفياتٍ فكرية مُحدَّدة، ولاسيما من بعض القنوات الفضائية متصوِّرا أنّ ما يراه هو منهج السَّلف وهو إثبات ظواهر هذه النصوص مع نفي كيفيتها، ومن يخالف ذلك فهو ضالٌّ مبتدع.

3.التوضيح على أنّ منهج السَّلف ليس منهجا واحدا فمنهم كان مَن يؤول النُّصوص وفق اللغة العربية.

حِرْصا للوصول إلى هذه المبتغيات سلكتُ في هذه الدِّراسة المنهج المقارن بين منهج المحدَّدين لمنهج السَّلف والمحدَّدين لمنهج الخلف، وقد اقتضى الأمر مني أنْ استقريء العديد من النماذج بما يخدم البحث.

وقد اقتضت طبيعة الدِّراسة أنْ أقسمها إلى مبحثين:

الأول: بيان منهج السلف والخلف الذين لم يُؤوِّلوا النَّصوص.

الثاني: بيان منهج السّلف والخلف الذين أوّلوا النصوص.

وهذا البحث ليس جديدا من حيث التَّسمية فهو موجود في كُتُب القُدامى والمعاصرين،

لكنَّ الجديد فيه– فيما أزعم – البيان الحقيقي لمذهب السَّلف وهو عدم الخوض في مثل هذه النصوص وترْك معانيها لله تعالى، وإذا تجلَّى هذا فإنّنا سنبتعد عن قضية التّبديع والتضليل التي يسلكها البعض.

المبحث الأول

بيان منهج السلف والخلف الذين لم يُؤوِّلوا النصوص

نزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان همُّ صحابته عمل الصالحات التي كان يدعو القرآن إليها واجتناب المعاصي التي كان القرآن يحذِّر منها، وبجانب ذلك كانت سُنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسير جنْبا إلى جنب مع القرآن الكريم في هذه الدَّعوة.

لكن هناك نصوص من القرآن ومن السّنة ظاهرها يثير إشكالا عند الوقوف على حرفيته، وموطن الإشكال أنَّ ظواهر هذه النصوص يوهم تشبيها لله تعالى بخلْقه، وهو ما يتنافى مع عقيدة التنزيه التي بيّنها مُحْكم قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11)} [الشورى]

ولم تنقل لنا الكُتُب المهتمَّة بهذا الشأن أنّ الصحابة الكرام خاضوا في مثل هذه النصوص، أو حاولوا البحث عن معانيها، ولعل ذلك يعود إلى انحصارهم في بيئة ضيقة، وعدم مخالطتهم لأصحاب الديانات الأخرى، ثم كانت هذه النصوص مفرقة قيلت لمقاصد معينة، وكان همهم التطبيق العملي للنصوص التي تتعلق بالنفس والمجتمع، وحتى إذا مروا على نصٍ يوهم التشبيه كانوا يسرعون إلى المقصد منه، دون البحث عن ألفاظٍ بعينها، فإذا سمعوا مثلاً قوله صلى الله عليه وسلم" يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَه" [1]لا يسألون كيف ينزل، بل يفهمون من هذا الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم يحثهم على قيام الليل والاستغفار فيه، وإذا سمعوا قوله صلى الله عليه وسلم : " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا"

1 رواه البخاري في كتاب التوحيد ، البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري مع شرح فتح الباري، تح:الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي، ط.جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، رقم:7494 ، انظر : ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تصحيح: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، ط. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض. فتح 13 / 464.

[2] لا يسألون عن يد الله ،وكيف يبسطها، بل يفهمون من هذا الحديث مدى استجابة الله للمعرضين عنه، وهكذا في كل النصوص التي على هذه الشاكلة

لكنْ لماتوسعت الفتوحات وأخذ الدين ينتشر ويتوسع،ودخل في الدين الجديدأصحاب الديانات الأخرى، ومنهم من لم يكن همه إلا زعزعة إيمان الناس والطعن في النصوص، وظهرت الفرق وأصحاب المقالات، وفشا التشبيه والتجسيم، وأخذت النصوص التي توهم ذلك تجُمَع وتُصنَّف بدأ الخوض في هذه النصوص[3].

أما قبل ذلك فلم يخض السلف في مثل هذه النصوص، ويدل على هذا- فضلا على أنَّ الكُتُب المهتمّضة بهذا الشأن لم تنقل لنا- أنَّ الإمام مالك عندما سُئل عن قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5) } [طه:]كان من جملة جوابه : والسؤال عنه بدعة، أي لم تكن مثل هذه الأسئلة مطروحة سابقاً، ولم يخوضوا فيها، واستندوا في عدم الخوض في مضامين هذه النصوص ودلالاتها على قوله تعالى :] هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الْأَلْبَابِ [[آل عمران : 7] حيث رأوا الوقف على لفظ الجلالة — الله – أما قوله والراسخون في العلم، فهو استئناف وليس عطفاً على لفظ الجلالة –الله –، بينما يرى المؤولون أنَّ (الراسخون) تعرب عطفاً على لفظ الجلالة، ومؤدى هذا أن (الراسخون) في العلم يعلمون معاني هذه النصوص، ولكلٍ منهم دليله ومستنده [4].

نخلص من هذا إلى أنَّ السَّلف – وهم أصحاب القرون الثلاثة الأولى- لم يخوضوا في هذه النصوص. لكن هل هذا يعني أنَّهم لم يتعرضوا لها بأي تفسير أبدا؟

يُجاب عن هذا أنَّهم كانوا يكتفون بقراءتها ويُفوضون مرادها لله تعالى، مع القطع أنَّ ظاهرها الذي يوهم تشبيه الله تعالى بخلقه ليس مُرادا .

---

2 رواه مسلم في كتاب التوبة بَابُ بَيَانِ الزَّمَنِ الَّذِي لَا يُقْبَلُ فِيهِ الْإِيمَانُ،رقم: 2754، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي. ط.إدارة البحوث العلمية، السعودية، ط.1400هـ.1980م.

3 وممن جمع ابن خزيمة المعاصر للأشعري (ت: 311) في كتابه التوحيد وإثبات صفات الرب ، والبيهقي(ت: 458) في كتاب الأسماء والصفات، ولقد أنكر الغزالي على من جمع هذه النصوص ؛ لأنها قيلت اعتماداً على قرائن معينة في أوقات متباينة ، وتصنيفها يرسم للإله في الذهن صورة حسية تقرب من صورة البشر، فيقال باب في إثبات اليد وإثبات الوجه... انظر:الغزالي ، مجموعة رسائل الإمام الغزالي ، إلجام العوام : 312 ، ولقد كان الغزالي محقاً في إنكاره على من صنع ذلك ؛ لأن المحظور الذي قاله يقع فيه من يقرأ كتاب ابن خزيمة (التوحيد وإثبات صفات الرب) فانظر إليه.

4 انظر في ذلك : ابن عاشور ،محمد الطاهر ، التحرير والتنوير ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر — تونس، سنة النشر: 1984 هـ: 163/3 وما بعدها .

ولقد وضح الغزالي هذه الحقيقة في نصوص الاستواء، مبيناً منهج السلف في عدم الأخذ بظاهر النص،ولا بالقطع بالمراد فيقول :"فيعلم قطعاً أنه ما أراد الجلوس والاستقرار، الذي هو صفة للأجسام، ولا ندري ما الذي أراده... فكذلك نقول: ولا يجوز إثبات اليد والإصبع مطلقاً، بل يجوز النطق بما نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم على الوجه الذي نطق به، من غير زيادة ولا نقصان، وجمع وتفريق، وتأويل وتفصيل "[5]، ويقول أيضاً :"إن هذه الألفاظ أريد بها معنى يليق بجلال الله وعظمته...وأنَّ ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله فهو كما وصفه، وحقٌ بالمعنى الذي أراده وعلى الوجه الذي قاله"[6].

ونستنتخلص من هذين النصين:

1.أنه لايجوز إثبات ظواهر هذه النصوص، ومن ظواهر هذه النصوص مفهوم الجلوس والاستقرار والإصبع واليد بشكل مطلق، لأنَّ هذا يؤدي إلى التشبيه .

2.هذه النصوص لها معانٍ ؛ إذ كلام الله تعالى مُنزَّه عن العبث، فلابد من معنى يليق بالله تعالى.

3.الفهْم الصحيح لهذا النصوص أنْ نقولها كما وردت في القرآن أو في السنة من غير شرحٍ لها أو جمعٍ لهذه النصوص؛ إذ الجمع يشكِّل صورة حسية لله سبحانه وتعالى.

4.يكون الجواب لِمَن سأل عن معنى هذه النصوص أنْ يُقال لها معنى على الوجه الذي أراده الله تعالى مع جهلنا بهذا المعنى .

وقد ضرب الغزالي لذلك مثال الاستواء، فبين أنه يأتي لعدة معانٍ، فقد يُراد به الإقبال على خلقه، أو الاستيلاء على العرش بالقهر أو معنى آخر، فيُصَدق بذلك دون تحديد المراد [7].

وهذا الفهم لم يكن قاصرا على الغزالي رحمه الله، فابن حجرالعسقلاني يبين مذهب السَّلف في هذه النصوص قائلا :" فآمنوا بالمحكم من ذلك، وفوضوا أمر المتشابه إلى ربهم"[8].

ومن المهم هنا أنْ نؤكد انطلاقا من كلام ابن حجر أنّ السَّلف عاملوا هذه النُّصوص

5 الغزالي، محمد بن محمد، إلجام العوام عن علم الكلام، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، ط. دار الفكر، بيروت، ط.الأولى:1416هـ.1996من ص. 326 .

6 الغزالي ، مجموعة رسائل الإمام الغزالي ، إلجام العوام ،ص. 326 .

7 الغزالي ، مجموعة رسائل الإمام الغزالي ، إلجام العوام ،ص304 .

8 ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تصحيح: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، ط. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض: 13 / 351، وهذا التفويض ذكره عنهم السيوطي، انظر السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تح:مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط.الثالثة:1416هـ، الإتقان،ص.650.

معاملة المتشابه، ومن الطبيعي أنْ يُفوّض المتشابه إلى الله تعالى فليس بين كلام الغزالي وابن حجر اختلاف، ومثل هذا ما قاله النووي :" فمنهم من قال نؤمن بها، ولا نتكلم في تأويلها، ولا نعرف معناها، لكن نعتقد أنَّ ظاهرها غير مراد، وأن لها معنى يليق بالله تعالى، وهذا مذهب جماهير السلف وطوائف من المتكلمين، والثاني أنها تؤول على مايليق به، وهذا قول أكثر المتكلمين"[9].

وهذا ما ذهب إليه التفتازاني عندما أكد أن الأدلة القطعية قائمة على التنزيهات، فوجب أنْ يُفوَّض المراد من النصوص المتشابهة إلى الله تعالى، على ماهو دأب السلف إيثاراً للطريق الأسلم، أو تؤول بتأويلات صحيحة على ما اختاره المتأخرون[10].

صار بيِّنا مما نقلناه أنَّ هذه النصوص تُعامَل على أنها نصوص متشابه نَكِل المراد منها إلى الله تعالى، وهذا هو منهج السلف أما منهج الخلف وهم الذين جاؤوا من بعد ،فهم يحملون النصوص على ظواهر اللغة.

وقد نقل كثير من المعاصرين عن السلف هذا المنهج في تعاملهم مع هذه النصوص، يقول الشيخ ابن عاشور: " فكان رأي فريقٍ منهم الإيمان بها، على إبهامها وإجمالها، وتفويض العلم بكنه المراد منها إلى الله تعالى،وهذه هي طريقة سلف علمائنا...ويعبَر عنها بطريقة السلف "[11]،ويقول الدكتور: التهامي نقرة :" فالسلف حين رفضوا تأويل المتشابه، لم يتعرضوا لمعناه ببحثٍ، ولم يحملوه على ظاهره"[12]، ويقول الشيخ أحمد محمد شاكر:" والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن المبارك، وابن عيينة، ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء، ثم قالوا: تروى هذه الأحاديث ونؤمن بها، ولا يقال: كيف؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن يرووا هذه الأشياء كما جاءت ويؤمن بها ولا تفسر ولا تتوهم ولا يقال: كيف"[13].

---

9 النووي، محي الدين يحيى بن شرف ، شرح مسلم، ط. دار إحياء التراث العربي، : 12 / 211 ، 212 .

10 انظر: التفتازاني، سعد الدين، شرح متن عقائد النسفية، لعمر بن محمد النسفي، ط.تومروا العثمانية، 1326هـ.ص. 74 ، وانظر: الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، الناشر: مؤسسة الحلبي، سورية ، ص.92.

11 ابن عاشور ، محمد الطاهر، التحرير والتنوير : 3 / 166 .

12 نقرة ، التهامي ، الاتجاهات السنية والمعتزلية في تأويل القرآن : 73 ، وانظر له : الأشعرية في المغرب وموقف العلماء منها :24، مجلة الموافقات ، العدد الرابع ، السنة الرابعة،ط مركز الموافقات ، الجزائر ،1416 هـ ، 1995 م .

13 شاكر، أحمد محمد في تعليقه على سنن الترمذي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م، 692/4.

مناقشة موقف ابن خزيمة ومن قال بقوله في تبيان مذهب السَّلف:

يقول ابن خزيمة[ت:311] رحمه الله:" فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن، والعراق والشام ومصر، مذهبنا: أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين، وعزَّ أن يكون عَدَمًا كما قاله المبطلون، لأنَّ ما لا صفة له عَدَمٌ، تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف بها نفسه في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه"[14].

نفهم من هذا النص أمورا عدة:

1.يرى ابن خزيمة أنّ ما عليه علماء الأمصار من المسلمين أنهم يثبتون ما أثبته الله لنفسه من غير تشبيه، ويضرب لذلك مثالًا وهو أننا نؤمن بأنَّ لله وجها، ولكنْ ليس كوجوهنا، وهذا يسري على كل الآيات والأحاديث التي فيها ذكر اليد والأعين ... ومحصله أنّنا نثبت لله وجها ليس كالوجوه ويدين ليستا كالأيدي وعينا ليست كالأعين وهكذا ... يقول ابن خزيمة:" باب ذكر إثبات العين لله جل وعلا، على ما أثبته الخالق البارئ لنفسه في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، قال الله عز وجل لنبيه نوح صلوات الله عليه: {وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا } [هود: 37]...فواجب على كل مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما ثبت الخالق البارئ لنفسه من العين" [15].

من الواضح أن هذا المنهج ليس موافقا لِمَا نقلناه من نصوصٍ عن الغزالي والنووي وابن حجر وغيرهم، فالفرق كبيرٌ بين أنْ تنطلق من هذه النصوص لتُثبت ظاهرها مع نفي التشبيه، وبين القول بأنَّ الله استأثر بعلمه معانيها، فالمنهج الأول فيه إثبات لمضمون الآيات والأحاديث الواردة بهذا الشأن، وأما المنهج الآخر فهو تفويض معنى الآيات والأحاديث لله تعالى.

وهذا المنهج يقتصر على نفي الكيفية فقط مع إثبات ظاهر النص فهو يثبت يدين مع نفي الكيفية ويثبت وجها مع نفي الكيفية...بينما المنهج الذي نقلناه عن الغزالي وغيره لا يخوض في هذه النصوص لا من قريب ولا من بعيد بعد الإيمان بأنَّ لها معنى استأثره الله بعلمه.

2.يرى ابن خزيمة أنَّ من لايقول بمنهجه فهو يُعطِّل صفات الله تعالى، وهذا الكلام ليس

14 ابن خزيمة، محمد بن إسحاق التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، مكتبة الرشد – السعودية – الرياض، الطبعة: الخامسة، 1414هـ - 1994م، ص.26.

15 ابن خزيمة، التوحيد لابن خزيمة، ص97.

صوابا ففرق كبير بين أنْ تقول هذه النصوص لا معنى لها وهذا لايجوز؛ لأنَّ فيه إثباتا لعبث الله تعالى، وكأنَّ هذه النصوص وردت خاليةً من أيّ دلالة، وبين أنْ تقول هذه النصوص لها دلالة ولكنَّ علم البشر قاصر عن معرفة ذلك، ولو كان ذلك تعطيلا للنصوص لكان المنهج في فهم النصوص المتشابهة فيه تعطيل، ومثل ذلك الأحرف المقطَّعة التي في أوائل السّور والتي جعلها فريق من العلماء من المتشابه الذي لايعلمه إلا الله تعالى، يقول القرطبي:"اختلف أهل التأويل في الحروف التي في أوائل السور، فقال عامر الشعبي وسفيان الثوري وجماعة من المحدثين: هي سر الله في القرآن... فهي من المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه، ولا يجب أنْ يُتكلَّم فيها، ولكن نؤمن بها ونقرأ كما جاءت، وروي هذا القول عن أبي بكر الصديق، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما. وذكر أبو الليث السمرقندي عن عمر وعثمان وابن مسعود أنهم قالوا: الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر. وقال أبو حاتم: لم نجد الحروف المقطعة في القرآن إلا في أوائل السور، ولا ندري ما أراد الله عز وجل بها ... قلت: هذا القول في المتشابه وحكمه، وهو الصحيح"[16].

ويرى الكرماني في هذه النصوص أنّ حكمها :" حكم سائر المتشابهات إما التفويض وإما التأويل"[17].

وهذا مايراه بدر الدين العيني عند شرحه لحديث النزول:" قلت: لا شك أن النزول انتقال الجسم من فوق إلى تحت، والله منزه عن ذلك، فما ورد من ذلك فهو من المتشابهات، فالعلماء فيه على قسمين: الأول: المفوضة: يؤمنون بها ويفوضون تأويلها إلى الله، عز وجل، مع الجزم بتنزيهه عن صفات النقصان. والثاني: المؤولة: يؤولون بها على ما يليق به بحسب المواطن" [18]

فلو كان السكوتُ عن تحديد دلالة الآيات المتشابهة داخلا في تعطيل معاني النصوص لكان الحكْم على هؤلاء بأنهم عطَّلوا دلالات النصوص القرآنية، وماذكره القرطبي ليس تعبيرا عن رأيه فقط بل نقله عن غيره من المتقدِّمين[19].

16 القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر ، جامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تح:أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، 154/1.

17 الكرماني، محمد بن يوسف بن علي الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، طبعة أولى: 1356هـ - 1937م :17/ 155.

18 العيني، محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت :200/7.

19 وهذا المنهج ليس قاصرا على القرطبي. يقول أبو حيان الأندلسي:" والذي أذهب إليه: أن هذه الحروف التي في فواتح السور هو المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، وسائر كلامه تعالى مُحكم". أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف ، والبحر المحيط في التفسير، تح:المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: 1420 هـ، 60/1.

3.هناك فرق كبير بين إثبات ظاهر النصوص وبين إمرار النصوص كما جاءت، فالإمرار هو عدم التعرض لمعناها لا من قريب ولا من بعيد، لأنها من المتشابه الذي استأثره الله تعالى بعلمه، أما إثبات ظاهرها مع نفي الكيفية فليس إمرارا للنصوص، بل هو فهْم بحسب ظاهرها مع نفي الكيفية وهذا ما يراه ابن تيميه أنَّ معنى إمرارها : هو إثبات الصفات بدون تكييف، فالسلف عنده لم ينفوا حقيقة الصفات، وإنما نفوا العلم بكيفيتها[20] .

وهذا ليس إمرارا لها، بل هو وقوف على ظاهرها، والدليل على هذا ما نقلناه سابقا، وهو المنقول عن الإمام مالك بن أنس[ت:178]وعبد الله بن المبارك[ت:181] والإمام أحمد ابن حنبل[ت:241]، وإسحاق بن راهويه[ت:238]والإمام محمد ابن إسماعيل البخاري[ت:256] [21]، ومعنى إمرارها عدم التعرض لها لابإثبات ظاهرها، ولا بإنكار مجازها، وفي هذا يروي عبد الله بن الإمام أحمد عن أبيه قوله في أحاديث الصفات " هذه الأحاديث نرويها كما جاءت، ولا يُبحث عن كنهها ولا عن حقيقتها "[22]، وهذا هو معنى إمرار النصوص، ويؤكد هذا المعنى ابن خلدون أنَّ السلف "لم يتعرضوا لمعناها ببحث ولا تأويل، وهذا معنى قول الكثير منهم إمراؤها كما جاءت"[23].

فالإمرار لايتجاوز القراءة لهذه النصوص، يقول البغوي عند تفسيره لقوله تعالى:" {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (210) } [البقرة:]:" "قال سفيان بن عيينة: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره: قراءته والسكوت عنه، ليس لأحد أن يفسره إلا الله تعالى ورسوله"[24]

وأيضا إثبات ظاهر النصوص مع نفي الكيفية يستلزم نفي المعاني المجازية وهذا لم يقل به السّلف، فعلى قول السلف كما نقلنا عن النووي وغيره يبقى موضوع إثبات الصفات مسكوتاً عنه.

كما أنَّ هذا المنهج ليس منسجما مع نفسه في الوقوف عند ظاهر النصوص فقط ، بل يحمل النصوص على بعضهم، فهو ليس إمرارا عليها ، وإنما إثبات لظاهرها على شكل

20 انظر : ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، جمع وترتيب عبد الرحيم بن قاسم وابنه محمد، ط. مكتبة المعارف، الرباط،1398م. 5 / 41 .

21 انظر : النسفي، أبو المعين ميمون بن محمد، تبصرة الأدلة في اصول الدين، تح:كلود سلامة، ط. الجفان والجوابي ليماسول، قبرص، ط. الأولى 1993م. 1 / 130 ، ابن تيميه ، مجموع الفتاوى : 5 / 86 .

22 انظر : محمد، أبو زهرة، ابن حنبل حياته وعصره آراؤه الفقهي، دار الفكر العربي – القاهرة ص، 130 ، 131

23 ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، ط.دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988م، المقدمة : 293 .

24 البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى ، 1420 هـ،269/1.

مُحدَّد ، فهم لم يقولوا نثبت الظاهر مع نفي التشبيه والمماثلة، ولو كان الأمر كذلك لاستلزم أنْ يقولوا نثبت يدا ليست كالأيدي ويدين ليست كالأيدي وأيديا ليس كالأيدي، بمعنى أنَّ ظاهر النصوص يُلزمهم أنْ يقولوا نثبت الإفراد والتثنية والجمع وقوفا عند ظاهر القرآن، لكن هذا لم يحصل، وكان وقوفهم عند التثنية، يقول ابن خزيمة رحمه الله :" باب ذكر إثبات اليد للخالق البارئ جل وعلا والبيان: أن الله تعالى له يدان، كما أعلمنا في محكم تنزيله أنه خلق آدم عليه السلام بيديه قال عز وجل لإبليس: {قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ (75) } [ص]وقال جل وعلا تكذيبا لليهود حين قالوا: { يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ }، فكذبهم في مقالتهم، وقال: { بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ 64} [المائدة] ... و { {يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ10} [الفتح:]} وقال: {فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (83) } [يس] ...وقال {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (71)} [يس]

فابن خزيمة ينقل نصوصا ورد فيها اليد مفردة ومثناة ومجموعة، لكن مع هذه تدل هذه النصوص عنده على التثنية، أي أنَّ الأصل هو التثنية، لكن من أين جاء هذا الأصل لا نعرفه إلا من خلال قياس الخالق على المخلوق مع التنزيه، ولم نجد لابن خزيمة سلفا في هذا .

وابن تيمية رحمه الله وجَّه هذه النصوص توجيها آخر فرأى أنَّ اليد عندما تُذكر يكون المقصود به هو الجنس من غير الإشارة إلى تعدُّد، بل تدل على الجنس ويكون العدد مسكوتا عنه ، وعندما تأتي صيغة الجمع يُراد بها التثنية[25].

بناء عليه يرجع الأمر إلى التثنية، يعني في النهاية نثبت يدين لله لكن ليستا كأيدي المخلوقات وهاتان اليدان حقيقتان لكنهما مختلفتان عن يديّ الناس ، يقول ابن تيمية:" وقد علم أن الخالق ليس مماثلًا للمخلوق، وأن هذه الصفات وإن كانت أعيانًا فليست لحمًا ولا عصبًا ولا دمًا ولا نحو ذلك، ولا هي من جنس شيء من المخلوقات"[26].

ومعنى هذا أنَّ اليد حقيقة والوجه حقيقة وبالتالي لايوجد ما يمنع بنظر هؤلاء أنْ يُقال إنَّ جسم لا كالأجسام، وهذه نتيجة لازمة، فإذا كُنا نثبت يدا حقيقية ليسك كالأيدي فلازم عن ذلك إثبات جسم لا كالأجسام، ولهذا يرى ابن تيمية أنه :" ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها، أنه ليس بجسم، وأن صفاته ليست أجسامًا وأعراضًا؟ فنفي المعاني الثابتة بالشرع والعقل؛ بنفي ألفاظ لم ينف معناها شرع ولا عقل، جهل وضلال"[27]

25 انظر:ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية، تح:جموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة: الأولى، 1426هـ، 485/5.

26 ابن تيمية ، بيان تلبيس الجهمية :1/ 357.

27 بيان تلبيس الجهمية:373/1

المبحث الثاني

بيان منهج السّلف والخلف الذين أوّلوا النصوص

لم يكن السلف على منهج واحدٍ في عدم الخوض في هذه النصوص وتفويض معانيها لله تعالى، فالكثير من السلف أوّلوا هذه النصوص وحملوها على المعاني اللغوية ومنهم:

1 – ابن عباس[ت:68] أول ابن عباس رضي الله عنه العين في قوله تعالى:{وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا 37}[هود]أولها بمعنى حراستنا[28]، وأوّل الوجه بمعنى الذات في قوله تعالى:{وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27)} [الرحمن]أي يبقى الله[29]، وقال في قوله تعالى{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ القصص: 88}أي إلا ما أريد به وجهه تعالى من الأعمال الصالحة[30].

2 – مجاهد[ت:104] أول مجاهد بن جبر الوجه في قوله تعالى : [فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ][البقرة:115] بمعنى القبلة [31]، وأول الوجه في قوله تعالى : [كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ][القصص:88] بمعنى لذات،أي إلا هو[32]،ونقل عنه أنه قال في هذه الآية إلا ما أريد به وجهه تعالى من الأعمال الصالحة[33]، وأول اليدين في قوله تعالى {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: 75]بمعنى التأكيد ،أي لما خلقت أنا [34]

3 – الضحاك[ت:105] أول الضحاك بن مزاحم قوله تعالى : {وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا } [هود: 37] [هود : 37] أي بأمرنا[35]

4 –الحسن[ت:110] أول الحسن البصري اليد في قوله تعالى{يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} [الفتح: 10] بمعنى منته وإحسانه [36]

5 – قتادة[ت:118]أول قتادة بن دعامة السدوسي العين في قوله تعالى: [وَلِتُصْنَعَ

---

28 انظر : القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر ، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تح:أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، القرطبي:9 / 30 .

29 انظر : القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر ، الجامع لأحكام القرآن : 2 / 83 ، 84 .

30 السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ط.دار الفكر، لبنان، ط. الأولى:1983م،: 6 / 447 .

31 انظر : البيهقي، أحمد بن الحسين، الأسماء والصفات، ط.دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص.304 .

32 انظر: القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : 13 / 322 .

33 انظر : السيوطي ، الدر المنثور في التفسير المأثور : 6 / 447 .

34 : السيوطي ، الدر المنثور في التفسير المأثور 15 / 228 .

35 انظر: القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : 9 / 30 .

36 انظر:ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، دفع شُبه التشبيه بأكف التنزيه، تح: طارق السعود، ط.دار الهجرة، بيروت، ط.الثامنة:1410هـ.1990م،ص.24 .

عَلَى عَيْنِي]

[طه:39] بمعنى الكلاءة والرعاية [37] .

6 – الصادق :[ت:148] أول الصادقالوجه في قوله تعالى: [كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ] [القصص88:]بالدين، أي إلا دينه[38].

7 – مقاتل[ت:150] أول مقاتل[39] الأعين في قوله تعالى :[وَاصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا] [هود :37] أي بعلمنا [40].

8 – الثوري[ت:161] أول الثوري المعية بمعنى العلم في قوله تعالى: [وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ] [الحديد:4] [41] وأول الأعين في قوله تعالى :[تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا] [القمر: 14] بمعنى أمرنا[42]،وأول الوجه في قوله تعالى [كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ] [القصص:88] بمعنى ما يقصد إليه بالقربى [43] .

9 – الشافعي[ت:204] أول الإمام الشافعي الوجه في قوله تعالى:[وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ] [البقرة :115] بمعنى الوجه الذي وجهكم الله إليه[44]، والتأويل بالوجه أي الجهة، ويكون المراد بذلك القبلة، لأن الوجه والجهة في لغة العرب بمعنى واحد[45].

10 – أحمد ابن حنبل[ت:241] يقول الإمام أحمد في قوله تعالى :[مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ (يعني الله بعلمه) وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ (يعني الله بعلمه) وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ] [المجادلة : 7]يعني بعلمه فيهم[46]، بل قد أول أحمد

37 انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ط.دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى:1412هـ. 1992م: 8 / 413

38 انظر: الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن: 13 / 322 .

39 نعتقد أنه مقاتل بن حيان ، وليس مقاتل بن سليمان ، لأنه إذا أطلق يراد به الأول ، علماً أن كليهما توفي في سنة : 150 .

40 انظر: القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : 9 / 30 .

41 انظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، خلق فعال العباد، ضمن كتاب عقائد السلف للأئمة، لعلي سامي النشار، ط. مكتبة الآثار السلفية، منشأة المعارف بالأسكندرية، مصر، 1971م.ص.122

42 انظر: الطبري ، جامع البيان : 11 / 553 ، ونقل القرطبي عنه هذا التأويل في قوله تعالى :[وَاصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا] [هود : 37] ، انظر: القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : 9 / 30 .

43 انظر : القرطبي ، تفسير القرطبي، : 13 / 322 ، والسيوطي ، الدر المنثور في التفسير المأثور: 447/6 .

44 انظر: البيهقي ، الأسماء والصفات : 309 .

45 انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، تح:عبد الله العلالي وبوسف خياط، ط.دار لسان العرب، بيروت، مادة وَجَهَ ، 3 / 884 .

46 أحمد ابن حنبل ، الرد على الزنادقة والجهمية ، ضمن كتاب عقائد السلف للأئمة، : 95 .

آيات المعية في القرآن، وذلك على حسب موقعها فمثلاً في قوله تعالى لنبييه موسى وهارون : [إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى] [طه:46] يؤول المعية بمعنى الدفع عنهما، ويؤول المعية في قوله تعالى : [كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ] [البقرة: 249] بمعنى النصر لهم على عدوهم [47]، وأول الوجه أيضا في قوله تعالى [كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ] [القصص: 88] بمعنى الذات [48].

11 – ابن قتيبة[ت:272] أول ابن قتيبة اليمين في قوله صلى الله عليه وسلم :«إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»[49] " بمعنى التمام والكمال [50]، أي نفي النقص عن الله تعالى .

وإذا كُنَّا في سياق ذكر من أوَّل من السلف فمن المستحسن أنْ نذكر تأويل ابن تيمية رحمه الله وإن كان ليس من السَّلف من حيث التأريخ الزمني لكنَّه كان من أكثر المِمَثِّلين للسف فيما يرى هو، كما أنَّ تأويله يجعل من منهجه ليس مستقيما فيما يتصل بالصفات، فهو يؤوِّل آيات المعية في القرآن، وينقل عن ابن عند البر أنّ هذا مما أجمع عليه الصحابة والتابعون[51]، بل نجد ابن تيميه، ينكر التأويل ويؤول في موضع واحد، يقول في إثباته لليدين : "فالمفهوم من هذا[أي من النصوص التي يوهم ظاهرها اليد] أنَّ لله تعالى يدين مختصتين به ذاتيتين له كما يليق بجلاله . . . وأنّ (يداه مبسوطتان) ومعنى بسطهما بذل الجود، وسعة العطاء "[52].

ويقول:" وقبض اليد: عبارة عن الإمساك كما في قوله تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ} [الإسراء: 29] وفي قوله: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ}[53]

---

47 انظر : أحمد بن حنبل ، الرد على الزنادقة والجهمية ، ضمن كتاب عقائد السلف للأئمة ، لسامي علي النشار، ص.97 .

48 انظر: نظر : أحمد بن حنبل ، الرد على الزنادقة والجهمية ، ، ص102 .

49 رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، رقم: 1827.

50 انظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، تأويل مختلف الحديث، ط. دار الكتاب العربي، بيروت،ص 142 .

51 انظر : ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، جمع وترتيب عبد الرحيم بن قاسم وابنه محمد، ط. مكتبة المعارف، الرباط،1398م، 5 / 49. من الواضح أنَّ ابن تيمية رحمه ليس من السّلف وذكرناه هنا لتبيان أنَّه مع إنكاره التأويل لم يسلم منه.

52 ابن تيمية، ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام:6 / 363 .

53 ابن تيمية،اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تح: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، 1419هـ – 1999م، 1/ 107.

نرى أن ابن تيمية يثبت اليدين أخذاً بظاهر اللفظ، وفي الوقت نفسه يؤول البسط بالجود والعطاء، رغم أنَّ البسط ليس معزولاً عن اليدين بل هو صفةٌ لهما، ومنهجه الظاهري يلزمه أنْ يثبت يدين مبسوطتين، أخذاً بظاهر اللفظ، ثم إنّ اليد + البسط = الكرم والجود، واليد + الغل = البخل، ولذلك ذكْره تعالى للبسط والغل قرينة على إرادة المعنى المجازي، ومن هذا قوله تعالى:" { وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (29) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (30)} [الإسراء]

بناءً على ما سلف يمكن أنْ نحدد موقفهم من متشابه النص، أنهم يقولون مثلا : إن الله استوى على العرش بالمعنى الذي أراده، وأنّ الله ذكر اليد واليدين والأيدي بالمعنى الذي أراده، وأن الله ذكر الوجه بالمعنى الذي أراده، ولانعرف هذا المعنى بل نسكت عنه، وهكذا في كل النصوص، ولا شك أنَّ موقفهم هذا أقرب إلى التنزيه والتسليم، ولذلك وصف مذهبهم بأنه الأسلم[54]، والسلامة جاءت لعدم تحديد المراد من النص.

وعدم تحديد المراد من النص لايعني إثباتا للظاهر ونفيا للكيفية، بل لايتجاوز فهم القراءة، وعليه فهم لايثبتون ظاهرا وينفيون الكيفية ، بل ينفون أي علم بالمراد من النَّص.

وربما يعترض على هذا الكلام ممن يثبت الصفات بقول الإمام مالك : الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة[55]، فيقول بأن الإمام لم ينكر حقيقة الصفة وإنما أنكر كيفيتها[56].

نجيب بأن قوله (معلوم) أي في لسان العرب، ووضع اللغة[57]، والاستواء في اللغة من الأسماء المشتركة، فيختلف معناه باختلاف موقعه، أما كيفية هذا الاستواء وتحديد المراد من النص فمجهول عنا، وهذا معنى قوله والكيف مجهول يقول الغزالي : "معنى قول الإمام مالك "الكيفية مجهولة " يعني تفصيل المراد به غير معلوم "[58]، وهذا هو موقف السلف، فهم لم يثبتوا صفات لله حقيقية من خلال هذه النصوص المتشابهة، ونؤيد كلامنا هذا — أيضاً– بأن رواية أخرى تذكر أن الإمام مالك قال للسائل : "الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه، ولا يقال له كيف "[59]

54 انظر: ابن عاشور مجمد الطاهر ، التحرير والتنوير : 3 / 197 .
55 انظر : التفتازاني، أبو الوفا ، علم الكلام وبعض مشكلاته : 125 ، 126 .
56 انظر : ابن تيميه ، مجموع الفتاوى : 5 / 41 .
57 انظر: القرطبي الجامع لأحكام القرآن : 7 / 219 – 220 .
58 الغزالي ، مجموعة رسائل الإمام الغزالي ، إلجام العوام : 305 .
59 انظر : السيوطي ، الدر المنثور في التفسير المأثور : 3 / 474 .

ومن الثابت أنه لم يكن الخلف على منهج واحد، وما كان السلف على منهج واحد، بل جمهور الخلف أوَّلوا النصوص وبعض السّلف أولوا، وبالمقابل جمهور السّلف فوَّضوا وبعض الخلف فوَّضوا معاني هذه النصوص لله تعالى

ومذهبهم المؤوّلين في هذه الصفات، هو حمل النصوص على المعاني المجازية، وهذا يختلف باختلاف طبيعة النص ؛ فإنْ كان النص لا يحتمل إلا معنىً مجازياً واحداً، حُمل على هذا المعنى، وكان التأويل مقطوعاً به ؛ لأنَّا لو لم نحمله على هذا المعنى لأخذناه على ظاهره، وظاهره مُحالٌ على الله، ومثال ذلك النصوص التي يفيد ظاهرها الفوقية ،كقوله تعالى :[وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ][الأنعام: 18] فإنه إنْ ظهر في وضع اللسان، أنَّ الفوق لا تحتمل إلا فوقية المكان، وهي نسبة جسم إلى جسم ؛ بأنْ يكون أحدهما أعلى والآخر أسفل، أو فوقية الرتبة، وهي المعنى المجازي كما تقول : الأمير فوق الرعية، والسيد فوق العبد، فالله فوق عباده بهذا المعنى، ويكون التأويل من هذا النوع مقطوعاً به ؛ لاستحالة حمله على ظاهره، وإنْ كان اللفظ مما يحتمل أكثر من معنى مجازي، فيُحمل على بعض المعاني المجازية، ويكون حمله على البعض مظنوناً بتأويله ؛ لتردده بين أكثر من معنى [60] .

الخاتمة

بعد كرم الله تعالى بإنهاء هذا البحث يمكن القول إنَّ الزُّبدة التي خرج بها البحث أنَّ هناك منهجين في النصوص الموهمة للتشبيه، منهج تبناه جمهور أهل السَّلف وهو تفويض المراد من هذه النصوص إلى الله تعالى من غير خوض فيها، مع الجزم بأنَّ لها معنى يليق بالله تعالى، ولكنْ حِرصا على السلامة كان المنهجُ عدم الخوض في معانيها، ويكون فهمها هو قراءتها مع تنزيه الله تعالى عمَّا يشابه المخلوقات ويماثلها.

ومنهج آخر تبنّاه جمهور الخلف وهم الذين جاؤوا بعد القرن الثالث، ويقوم منهجهم على تأويل هذه النصوص وفق اللغة العربية، ويكون التأويل مقطوعا به ولايحمل معنى آخر في حال كان النَّص من القرآن أو السنة لايحتمل معنى آخر، وفي حاله احتماله لأكثر من معنى يكون التأويل مظنونا به راجحاً لامقطوعا بمراده.

وعندما نقول جمهور الخلف فهذا يعني أنَّ بعضا ممن كان من الخلف سار وراء جمهور السلف في التفويض، وعندما نقول جمهور السّلف فهذا يعني بعضا ممن كان مع السلف ممن

60 انظر: الغزالي ، مجموعة رسائل الغزالي ، إلجام العوام : 303 ، 304 ، 311 ، 312 ؛ النسفي ، تبصرة الأدلة : 1 / 130 القرطبي، تفسير القرطبي :14/4.

رأى التأويل وتبناه.

والمنهج الذي سلكه من فوَّض معاني هذه النصوص إلى الله تعالى هو أنّه عامل هذه النصوص معاملة النصوص المتشابهة التي استأثر الله تعالى معانيها بعلمه.

والقول بأنَّ منهج السلف هو الأخذ بظاهر النصوص وإثبات الصفات وتنزيه الله تعالى عن التكييف لا يمثل في واقع الأمر منهج السلف، ولم يقُل بذلك السّلف.

ولم نجد من قال قبل القرن الثالث أنَّ لله يد حقيقة ليست كالأيدي ووجه حقيقي ليس كالوجوه واستواء حقيقي ليس كاستواء المخلوقين.

وقد تبيّن من البحث أنَّ التأويل ليس تعطيلا للنصوص ودلالاتها، وليس تعطيلا لصفات الله تعالى، وكيف يكون تعطيلا والنص من المتشابه الذي لم يتَّضح المراد منه.

بمقابل ذلك الحكم على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الموهمة لتشبيه الله بخلقه بأنَّها من المتشابه ليس تعطيلا لدلالات النصوص؛ لأنَّنا نجزم أنَّ للنص معنى ولكنْ خشية التَّقوُّل على الله تعالى وابتعادا عن الجُرأة نفوِّض المراد منه إلى الله تعالى، وهذا التفويض ليس راجعا إلى الكيفية مع إثبات ظاهر الصفات، بل هو تفويض كامل لكل مايدلُّ عليه النّص.

وإذا بَان ذلك فلْنبتعد عن التضليل والتبديع الذي يمارسه بعض إخواننا ممن يحتكرون مفهوم السلفية لأنفسهم ويرمون الآخرين بالابتداع؛ لأنهم يؤولون أو يجعلون هذه النصوص من قبيل المتشابه.

المصادر[61]

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، دفع شُبه التشبيه بأكف التنزيه، تح: طارق السعود، ط.دار الهجرة، بيروت، ط.الثامنة:1410هـ.1990م.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم ، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تح: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، 1419هـ - 1999م.

ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية، تح:جموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة: الأولى، 1426هـ، 485/5.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، جمع وترتيب عبد الرحيم بن قاسم وابنه محمد، ط. مكتبة المعارف، الرباط،1398م.

61 ملاحظة تمَّ اعتماد لفظ(ابن، أب) في ترتيب المصادر وذلك لأنَّ هؤلاء لايُعرفون بأسمائهم إنما يُعرَفون بالكُنية، ثم إنَّ كل معلومة ناقصة من التوثيق كاسم الدَّار الطابعة ومكان الطبع وتاريخه فهو ناقص من الأصل.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تصحيح: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، ط. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

ابن خزيمة، محمد بن إسحاق التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، مكتبة الرشد – السعودية – الرياض، الطبعة: الخامسة، 1414هـ - 1994م

ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، ط.دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988م.

ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984 هـ

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، تأويل مختلف الحديث، ط. دار الكتاب العربي، بيروت.

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، تح:عبد الله العلالي ويوسف خياط، ط.دار لسان العرب، بيروت.

أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف ، والبحر المحيط في التفسير، تح:المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: 1420 هـ

أحمد ابن حنبل ، الرد على الزنادقة والجهمية ، ضمن كتاب عقائد السلف للأئمة .

البخاري، محمد بن إسماعيل، خلق فعال العباد، ضمن كتاب عقائد السلف للأئمة، لعلي سامي النشار، ط. مكتبة الآثار السلفية، منشأة المعارف بالأسكندرية، مصر، 1971م.

البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري مع شرح فتح الباري، تح:الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي، ط.جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى ، 1420 هـ

البيهقي، أحمد بن الحسين، الأسماء والصفات، ط.دار إحياء التراث العربي، بيروت.

التفتازاني أبو الوفا ، علم الكلام وبعض مشكلاته، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

التفتازاني، سعد الدين، شرح متن عقائد النسفية، لعمر بن محمد النسفي، ط.تومروا العثمانية، 1326هـ.

السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تح:مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط.الثالثة:1416هـ.

السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ط.دار الفكر، لبنان، ط. الأولى:1983م.

شاكر، أحمد محمد في تعليقه على سنن الترمذي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، الناشر: مؤسسة الحلبي، سورية

الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ط.دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى:1412هـ. 1992م.

العيني، محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

الغزالي، محمد بن محمد، إلجام العوام عن علم الكلام، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، ط. دار الفكر، بيروت، ط.الأولى:1416هـ.1996م

القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر ، جامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تح:أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة.

الكرماني، محمد بن يوسف بن علي الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، طبعة أولى: 1356هـ

محمد، أبو زهرة، ابن حنبل حياته وعصره آراؤه الفقهي، دار الفكر العربي – القاهرة

مسلم، مسلم بن حجاج القشيري، صحيح مسلم، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي. ط.إدارة البحوث العلمية، السعودية، ط.1400هـ.1980م.

النسفي، أبو المعين ميمون بن محمد، تبصرة الأدلة في اصول الدين، تح:كلود سلامة، ط. الجفان والجدابي ليماسول، قبرص، ط. الأولى 1993م.

نقرة، التهامي ، الأشعرية في المغرب وموقف العلماء منها :24، مجلة الموافقات ، العدد الرابع ، السنة الرابعة،ط مركز الموافقات ، الجزائر ،1416 هـ ، 1995 م .

النووي، محيي الدين يحيى بن شرف ، شرح مسلم، ط. دار إحياء التراث العربي.